الثمرُ واللُّباب
فيما وردَ من أربعين حديثًا
في الكتاب

محمد خير رمضان يوسف

النشرة الثانية
١٤٤١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ للهِ مُنزلِ الكتاب، والصلاةُ والسلامُ على مَن أُنزِلَ عليه الكتاب، نبيِّنا محمَّد، وعلى آلهِ وأصحابهِ أُولي الألباب، وبعد:

فقد كتبتُ بحثًا بعنوان "الكتاب في القرآنِ الكريم"، بيَّنتُ فيه ما يرمي إليه لفظُ "الكتابِ" مِن معانٍ في كتابِ ربِّنا، واستشهدتُ في كلِّ مرَّةٍ بآيةٍ أو أكثرَ من القرآن.

وهذا بحثٌ قريبٌ منه، فيما وردَ من معنى "الكتابِ" في حديثِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

ومادتهُ وفيرة، ولذلكَ اكتفيتُ بأربعينَ حديثًا منه، واقتصرتُ بذلكَ على الصحيحين، البخاريِّ ومسلم، واعتمدتُ على شرحيهما، لابنِ حجر، والنووي، رحمةُ اللهِ عليهم جميعًا.

وأوردتُ عليها تعليقاتٍ قليلة، فالمقصودُ من البحثِ "الكتاب".

وتبيَّنَ من هذه الأربعينَ حديثًا الصحيحة، أن الكتاب وردَ فيها **بعشرةِ معان**، هي:

١- اللوحُ المحفوظ.

٢- الكتابُ السماوي.

٣- التوراة والإنجيل، عندَ ذكرِ "أهلِ الكتاب".

٤- التوراة.

٥- القرآن.

٦- جنسُ الكتاب.

٧- الأوراق، أو الصحيفةُ غيرُ المكتوبِ فيها.

٨- ثم المكتوبِ فيها، وهي صحيفةُ الأعمال.

٩- الرسالة، أو المكاتبة.

١٠- وبمعنى المرسوم، أو الوثيقة، كما تُفهَمُ في عصرنا.

ولو امتدَّ البحثُ لتبيَّنتْ معانٍ أخرى للكتاب، فالموضوع قابلٌ لأن يكونَ كتابًا أكبر، بل رسالةً علميةً فذَّة. وكذا ما سبقَ ذكرهُ في القرآنِ الكريم.

وقد وزَّعتُ الأحاديثَ على موضوعاتهِ العشرة، مع المحافظةِ على ترتيبها حتى الأربعين.

وهذا أوانُ الشروعِ في المقصود، ومن اللهِ التوفيقُ والسداد.

محمد خير يوسف

٢٧ شوال ١٤٣٥هـ

(١)

المعنى الأولُ للكتاب، بمعنى "**اللوح المحفوظ**"، مثاله:

الحديث الأول

ممّا جاءَ في حديثِ الإسراء، عندَ تخفيفِ عددِ الصلواتِ على أمتهِ عليه الصلاةُ والسلام، من حديثِ أنسٍ رضيَ الله عنه:

"... **فرفعَهُ عندَ الخامسة، فقال: يا ربّ، إنَّ أمَّتي ضعفاءُ أجسادُهم، وقلوبُهم، وأسماعُهم، وأبصارُهم، وأبدانُهم، فخفِّفْ عنا. فقال الجبّار: يا محمَّد، قال: لبَّيكَ وسعدَيك. قال: إنه لا يُبَدَّل القولُ لديَّ، كما فرضتُ عليكَ في أمِّ الكتاب. قال: فكلُّ حسنةٍ بعشرِ أمثالها، فهي خمسونَ في أمِّ الكتاب، وهي خمسٌ عليك**...".

صحيح البخاري، كتاب التوحيد (٧٥١٧).

الحديث الثاني

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:

"**إنَّ اللهَ كتبَ كتابًا قبلَ أنْ يَخلقَ الخَلق: إنَّ رحمتي سبقتْ غضبي، فهو مكتوبٌ عندَهُ فوقَ العرش**".

صحيح البخاري، كتاب التوحيد (٧٥٥٤)، صحيح مسلم (٢٧٥١). واللفظ للأول.

قال الحافظُ ابنُ حجر رحمهُ الله: الغرضُ منه الإشارةُ إلى اللوحِ المحفوظِ فوقَ العرش(١).

(٢)

بمعنى "**الكتابِ السماويّ**"، وهو ما أنزلَ الله من كتبٍ على رسلهِ عليهم الصلاةُ والسلام.
مثاله:

الحديث الثالث

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:
"ليسَ أحدٌ أحبَّ إليه المدحُ مَن اللهِ عزَّ وجلَّ، مِن أجلِ ذلكَ مدحَ نفسه، وليسَ أحدٌ أغيرَ مِن الله، مِن أجلِ ذلكَ حرَّمَ الفواحش. وليسَ أحدٌ أحبَّ إليه العُذرُ مِن الله، مِن أجلِ ذلكَ أنزلَ الكتاب، وأرسلَ الرسُل".

صحيح مسلم، كتاب التوبة (٢٧٦٠).

"**وليسَ أحدٌ أحبَّ إليه العُذرُ مِن الله**": قال القاضي عياض رحمهُ الله: يُحتمَلُ أن المرادَ الاعتذارُ، أي: اعتذارُ العبادِ إليه مِن تقصيرهم وتوبتهم من معاصيهم، فيغفرُ لهم، كما قال تعالَى: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} [سورة الشورى: ٢٥](٢).

(١) فتح الباري ١٥/٥٠٨.

(٢) أورد قوله الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم ١٧/٧٨.

الحديث الرابع

في حديثِ جبريلَ الطويل، الذي رواه عمر رضي الله عنه:
قال: فأخبرني عن الإيمان؟
قال: "**أنْ تؤمنَ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخر، وتؤمنَ بالقدرِ خيرِهِ وشرِّهِ**".

صحيح مسلم، كتاب الإيمان (٨).

(٣)

بمعنى "**التوراة والإنجيل**"، عند ذكرِ "أهلِ الكتابِ" خاصَّة، كما في الأحاديثِ التالية:

الحديث الخامس

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمّا بعثَ معاذًا رضي الله عنه على اليمن قال:
"**إنكَ تقدَمُ على قومٍ أهلِ كتاب، فليكنْ أولَ ما تدعوهم إليه عبادةُ الله، فإذا عرفوا اللهَ فأخبرهم أنَّ اللهَ قد فرضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في يومِهم وليلتِهم، فإذا فعلوا الصلاةَ فأخبرهم أنَّ اللهَ فرضَ عليهم زكاةً تُؤخَذُ من أموالهم وتُرَدُّ على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذْ منهم، وتوقَّ كرائمَ أموالِ الناس**".

رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة (١٤٥٨)، ومسلم في صحيحه (١٩).

الحديث السادس

عن أبي ثعلبة الخشني قال:

أتيتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسولَ الله، إنّا بأرضِ أهلِ الكتاب، فنأكلُ في آنيتِهم، وبأرضِ صيدٍ أَصِيدُ بقوسي، وأصيدُ بكلبي المعلَّم، وبكلبي الذي ليس بمعلّم.

فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:

"أمَّا ما ذكرتَ أنكَ بأرضِ أهلِ كتاب، فلا تأكلوا في آنيتِهم، إلّا أنْ لا تجدوا بُدًّا، فإنْ لم تجدوا بُدًّا فاغسلوها وكُلوا فيها. وأمَّا ما ذكرتَ أنكم بأرضِ صيد، فما صدتَ بقوسِكَ فاذكرِ اسمَ اللهِ وكُل. وما صدتَ بكلبِكَ المعلَّم، فاذكرِ اسمَ اللهِ وكُل. وما صدتَ بكلبِكَ الذي ليسَ بمعلَّم، فأدركتَ ذكاته، فكُلْهُ".

رواه البخاري في صحيحه، كتاب الذبائح والصيد (٥٤٩٦)، ومسلم (١٩٣٠).

الحديث السابع

عن أبي موسى الأشعري، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:

"ثلاثةٌ يُؤتَون أجرَهم مرَّتين: رجلٌ من أهلِ الكتاب، آمنَ بنبيِّه، وأدركَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فآمنَ به واتَّبعَهُ وصدَّقه، فله أجران، وعبدٌ مملوكٌ أدَّى حقَّ اللهِ تعالَى وحقَّ سيِّده، فله أجران، ورجلٌ كانت له أمَة، فغذَاها فأحسنَ غِذاءَها، ثم أدَّبها فأحسنَ أدبَها، ثم أعتقها وتزوَّجها، فله أجران".

صحيح البخاري، كتاب العلم (٩٧)، ورواه مسلم في صحيحه كذلك، كتاب الإيمان (١٥٤). واللفظ للآخر.

قال الحافظ ابن حجر: لفظُ "الكتاب" عام، ومعناهُ خاصّ، أي: المنزَلُ مِن عندِ الله، والمرادُ به التوراةُ والإنجيل، كما تظاهرتْ به نصوصُ الكتابِ والسنَّة، حيثُ يُطلَقُ أهلُ الكتاب. وقيل: المرادُ به هنا الإنجيلُ خاصَّة، إنْ قلنا إنَّ النصرانيةَ ناسخةٌ لليهودية. كذا قرَّرهُ جماعة[٣].

الحديث الثامن

عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:
"نحنُ الآخِرونَ الأوَّلونَ يومَ القيامة، ونحنُ أولُ مَن يدخلُ الجنة، بيدَ أنهم أُوتوا الكتابَ مِن قبلنا، وأُوتيناهُ مِن بعدهم، فاختلفوا، فهدانا اللهُ لما اختلفوا فيه مِن الحقّ، فهذا يومُهم الذي اختلفوا فيه، هدانا اللهُ له (قال: يومُ الجمعة)، فاليومُ لنا، وغدًا لليهود، وبعدَ غدٍ للنصارَى".

رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة (٨٥٥) واللفظ له، والبخاري في صحيحه، كتاب الجمعة (٨٧٦).

قال ابنُ حجر رحمه الله: أوتوا الكتاب: اللام للجنس، والمرادُ التوراةُ والإنجيل، والضميرُ في "أوتيناه" للقرآن[٤].

الحديث التاسع

عن عمرو بن العاص، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:
"فصلُ ما بين صيامِنا وصيامِ أهلِ الكتاب: أكلةُ السحَر".

(٣) فتح الباري ٢٥٧/١.
(٤) فتح الباري ٨٧٦/٢.

الحديث العاشر

عن أنس بن مالك، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال:
"**إذا سلَّمَ عليكم أهلُ الكتابِ فقولوا: وعليكم**".

صحيح البخاري، كتاب الاستئذان (٦٢٥٨)، ومسلم (٢١٦٣).

فقد كان اليهودُ يلوون ألسنتهم ويقولون: السامُ عليكم. يعني الموت.

الحديث الحادي عشر

عن عبد الله بن عمرو قال:
هجَّرتُ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يومًا، قال: فسمعَ أصواتَ رجلينِ اختلفا في آية، فخرجَ علينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُعرَفُ في وجههِ الغضب، فقال:
"**إنما هلكَ مَن كان قبلَكم باختلافِهم في الكتاب**".

صحيح مسلم، كتاب العلم (٢٦٦٦).

قال الإمامُ النوويُّ في كلامٍ نفيس:
المرادُ بهلاكِ مَن قبلنا هنا هلاكُهم في الدِّين، بكفرهم وابتداعهم، فحذَّرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مِن مثلِ فعلهم.

والأمرُ بالقيامِ عند الاختلافِ في القرآنِ محمولٌ عند العلماءِ على اختلافٍ لا يجوز، أو اختلافٍ يوقِعُ فيما لا يجوز، كاختلافٍ في نفسِ القرآن، أو في معنًى منه لا يسوغُ فيه الاجتهاد، أو اختلافٍ يوقِعُ في شكٍّ أو شبهة، أو فتنةٍ وخصومة، أو شجارٍ ونحوِ ذلك.
وأما الاختلافُ في استنباطِ فروعِ الدينِ منه، ومناظرةُ أهلِ العلمِ في ذلكَ على سبيلِ الفائدةِ وإظهارِ الحقّ، واختلافُهم في ذلك، فليسَ منهيًّا عنه، بل هو مأمورٌ به، وفضيلةٌ ظاهرة، وقد أجمعَ المسلمون على هذا مِن عهدِ الصحابةِ إلى الآن. والله أعلم(٥).

الحديث الثاني عشر

عن أبي هريرة قال:
كان أهلُ الكتابِ يقرؤون التوراةَ بالعبرانية، ويفسِّرونها بالعربيةِ لأهلِ الإسلام، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:
"لا تصدِّقوا أهلَ الكتابِ ولا تكذِّبوهم، وقولوا: {آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ}" [سورة العنكبوت: ٤٦].

صحيح البخاري، كتاب الاعتصام (٧٣٦٢).

الغرضُ منه هنا: النهيُ عن تصديقِ أهلِ الكتاب فيما لا يُعرَفُ صدقهُ مِن قِبلِ غيرهم، فيدلُّ على ردِّ شهادتهم وعدمِ قبولها، كما يقولُ الجمهور(٦).

الحديث الثالث عشر

عن عبدالله بن عمر، أنه سمعَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ٢١٨/١٦.
(٦) فتح الباري ٢٩٢/٥.

"إنما بقاؤكم فيما سلفَ قبلَكم مِن الأمم، كما بين صلاةِ العصرِ إلى غروبِ الشمس، أُوتيَ أهلُ التوراةِ التوراةَ فعملوا، حتى إذا انتصفَ النهارُ عجزوا، فأُعطُوا قيراطًا قيراطًا.
ثم أُوتيَ أهلُ الإنجيلِ الإنجيلَ، فعملوا إلى صلاةِ العصر، ثم عجزوا، فأُعطُوا قيراطًا قيراطًا.
ثم أُوتينا القرآن، فعملنا إلى غروبِ الشمس، فأُعطينا قيراطَين قيراطَين.
فقالَ أهلُ الكتابَين: أيْ ربَّنا، أَعطيتَ هؤلاءِ قيراطَين قيراطَين، وأعطيتنا قيراطًا قيراطًا، ونحن كنّا أكثرَ عملًا.
قال: قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: هل ظلمتُكم مِن أجرِكم مِن شيء؟
قالوا: لا.
قال: فهو فضلي، أُوتيهِ مَن أشاء".

صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة (٥٥٧).

(٤)

وقد يردُ بمعنى "**التوراة**"، مثاله:

الحديث الرابع عشر

عن البراء بن عازب قال:
مُرَّ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم بيهوديٍّ محمَّمًا مجلودًا، فدعاهم صلى الله عليه وسلم، فقال: "**هكذا تجدونَ حدَّ الزاني في كتابكم**"؟
قالوا: نعم.
فدعا رجلًا مِن علمائهم، فقال: "**أَنشُدُكَ باللهِ الذي أنزلَ التوراةَ على موسى، أهكذا تجدونَ حدَّ الزاني في كتابِكم**"؟

قال: لا، ولولا أنكَ نَشَدَتني بهذا لم أُخبِرْك، نجدهُ الرَّجم، ولكنهُ كثرَ في أشرافِنا، فكنّا إذا أخَذْنا الشريفَ تركناه، وإذا أخَذْنا الضعيفَ أقمنا عليه الحدَّ، قلنا: تعالَوا فلنجتمعْ على شيءٍ نُقيمهُ على الشريفِ والوضيع، فجعلنا التحميمَ والجلدَ مكانَ الرجم.
فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "**اللهمَّ إني أولُ مَن أحيا أمركَ إذْ أماتوه**".
فأَمرَ به فرُجم.

صحيح مسلم، كتاب الحدود (١٧٠٠).

التحميم: تسويدُ الوجه.

(٥)

وورودُ لفظِ الكتابِ بمعنى "**القرآنِ**" كثير، كما في الأحاديثِ التالية:

الحديث الخامس عشر

عن عائشةَ قالت: أتتها بريرةُ تسألُها في كتابتها، فقالت: إنْ شئتِ أَعطيتُ أهلَكِ ويكونُ الولاءُ لي.
وقال أهلُها: إنْ شئتِ أَعطيتِها ما بقي.
وقال سفيانُ مرة: إنْ شئتِ أعتقتِها ويكونُ الولاءُ لنا.
فلمّا جاءَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذكرتهُ ذلك، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "**ابتاعيها فأعتقيها، فإن الولاءَ لمن أعتق**".
ثم قامَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، وقال سفيانُ مرة: فصعدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، فقال:

"**ما بالُ أقوامٍ يشترطون شروطًا ليسَ في كتابِ اللهِ؟ من اشترطَ شرطًا ليسَ في كتابِ اللهِ فليسَ له، وإن اشترطَ مائةَ مرَّة**".

رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة (٤٥٦)، ومسلم في صحيحه (١٥٠٤).

الحديث السادس عشر

عن حُميد، أن أنسًا حدَّثهم:
أن الرُّبَيِّعَ – وهي ابنةُ النَّضْر– كَسرَتْ ثنيَّةَ جارية، فطلبوا الأَرش، وطلبوا العفو، فأبَوا.
فأتَوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فأمرَهم بالقصاص.
فقال أنس بنُ النضر: أتُكسَرُ ثنيَّةُ الرُّبَيِّعِ يا رسولَ الله؟ لا والذي بعثكَ بالحقِّ لا تُكسَرُ ثنيَّتُها.
فقال: "**يا أنس، كتابُ اللهِ القِصاص**".
فرضيَ القومُ وعفَوا.
فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: "**إنَّ مِن عبادِ اللهِ مَن لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّهُ**".
زادَ الفزاريُّ عن حُميد، عن أنس: فرضيَ القوم، وقبلوا الأَرش.

رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح (٢٧٠٣)، ومسلم (١٦٧٥).

كتابُ الله القصاص: أي: حُكمُ كتابِ اللهِ وجوبُ القصاصِ في السنّ.
أفاده الإمام النووي[٧].

(٧) شرح النووي على صحيح مسلم ١١/١٦٣.

الحديث السابع عشر

عن ابن عباس:

أن نفرًا من أصحابِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم مرُّوا بماءٍ فيهم لديغ، أو سليم، فعرَضَ لهم رجلٌ مِن أهلِ الماءِ فقال: هل فيكم مِن راق؟ إنَّ في الماءِ رجلًا لديغًا، أو سليمًا.

فانطلقَ رجلٌ منهم، فقرأَ بفاتحةِ الكتابِ على شاءٍ، فبرأ. فجاءَ بالشاءِ إلى أصحابه، فكرهوا ذلك، وقالوا: أخذتَ على كتابِ اللهِ أجرًا.

حتى قدموا المدينة، فقالوا: يا رسولَ الله، أخذَ على كتابِ اللهِ أجرًا.

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "**إنَّ أحقَّ ما أخذتُم عليه أجرًا كتابُ الله**".

رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب (٥٧٣٧).

مرُّوا بماء: أي: بقومٍ نزولٍ على ماء.

فيهم لديغ، أو سليم: شكٌّ من الراوي. والسليمُ هو اللديغ، سمِّي بذلكَ تفاؤلًا من السلامة[٨].

قال الحافظُ ابن حجر رحمهُ الله في موضعٍ آخر: استدلَّ به للجمهورِ في جوازِ أخذِ الأجرةِ على تعليمِ القرآن[٩].

الحديث الثامن عشر

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

كنتُ عند النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فجاءَهُ رجلٌ فقال:

يا رسولَ الله، إني أصبتُ حدًّا فأقمهُ عليّ.

قال: ولم يسألهُ عنه.

(٨) فتح الباري ١١/٣٥٦.

(٩) فتح الباري ٤/٤٥٣.

قال: وحضرتِ الصلاة، فصلَّى مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فلمّا قضَى النبيُّ صلى الله عليه وسلم الصلاة، قامَ إليه الرجلُ فقال: يا رسولَ الله، إني أصبتُ حدًّا فأقِمْ فيَّ كتابَ الله.

قال: "**أليسَ قد صلَّيتَ معنا**"؟

قال: نعم.

قال: "**فإنَّ اللهَ قد غفرَ لكَ ذنبك**" أو قال: "**حدَّك**".

رواه البخاري في الصحيح، كتاب الحدود (٦٨٢٣)، ومسلم في صحيحه (٢٧٦٤).

ويُفهَمُ من شرحهِ في "فتح الباري" أن الرسولَ صلى الله عليه وسلم لم يُقِمْ عليه الحدَّ لأنه لم يُفصِحْ بأمرٍ يلزمهُ به إقامةُ الحدِّ عليه، فلعلَّهُ أصابَ صغيرةً ظنَّها كبيرةً توجبُ الحدّ. وأوردَ قولَ الخطّابيِّ أنه لا يُكشَفُ عن الحدود، بل يُدفَعُ مهما أمكن(١٠).

الحديث التاسع عشر

عن ابن عمر قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:

"**لا تَغلبنَّكم الأعرابُ على اسمِ صلاتِكم العِشاء، فإنها في كتاب اللهِ العِشاء، وإنها تُعتِمُ بحِلابِ الإبل**".

رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد (٦٤٤).

قال الإمام النووي رحمهُ الله: معناهُ أن الأعرابَ يسمُّونها العتمةَ لكونهم يعتمونَ بحِلاب الإبل، أي: يؤخِّرونَهُ إلى شدَّةِ الظلام، وإنما اسمُها في كتابِ اللهِ العشاء، في قولِ اللهِ تعالى: {وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ} [سورة النور: ٥٨]. فينبغي لكم أن تسمُّوها العشاء(١١).

---

(١٠) فتح الباري ١٤/٩٧.

(١١) شرح النووي على صحيح مسلم ٥/١٤٣.

ثم بيّنَ أن النهيَ عن العتمةِ للتنزيه، حيثُ وردَ في الأحاديثِ الصحيحةِ لفظُ العتمة، بعد تفصيل.

الحديث العشرون

عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسولُ الله:
"**يا أبا المنذر، أتدري أيُّ آيةٍ مِن كتابِ اللهِ معكَ أعظم**"؟
قال: قلت: اللهُ ورسولهُ أعلم.
قال: "**يا أبا المنذر، أتدري أيُّ آيةٍ مِن كتابِ اللهِ معكَ أعظم**"؟
قال: قلت: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ}(١٢).
قال: فضربَ في صدري وقال: "**واللهِ لِيَهْنِكَ العلمُ أبا المنذر**".

رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين (٨١٠).

الحديث الحادي والعشرون

عن جابر بن عبد الله قال:
كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا خطبَ احمرَّتْ عيناه، وعلا صوته، واشتدَّ غضبه، حتى كأنهُ مُنذِرُ جيشٍ، يقول: "**صبَّحَكم ومسَّاكم**"، ويقول: "**بُعِثتُ أنا والساعةُ كهاتين**" ويَقرُنُ بين إصبعَيهِ السبَّابةِ والوسطَى. ويقول: "**أما بعدُ، فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرُ الهُدَى هُدَى محمَّد، وشرُّ الأمورِ مُحدَثاتُها، وكلُّ بدعةٍ ضلالة**". ثم يقول: "**أنا أَولَى بكلِّ مؤمنٍ مِن نفسه، مَن تركَ مالاً فلأهله، ومَن تركَ دَينًا أو ضَياعًا فإليَّ وعليَّ**".

(١٢) يعني آية الكرسي، في الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.

رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة (٨٦٧).

الحديث الثاني والعشرون

عن ابن عباس قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:
"اقسِموا المالَ بين أهلِ الفرائضِ على كتابِ الله، فما ترَكَتِ الفرائضُ فلأَوْلَى رجلٍ ذكَر".

رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفرائض (١٦١٥).

الحديث الثالث والعشرون

عن أَبي هريرة، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:
"أنا أَوْلَى الناسِ بالمؤمنين في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ، فأيُّكم ما تركَ دَيْنًا أو ضَيعة فادعوني، فأنا وليُّه، وأيُّكم ما تركَ مالًا فليؤْثَرْ بمالهِ عَصبتهُ، مَن كان".

رواه مسلم في صحيحه، كتاب الفرائض (١٦١٩).

الحديث الرابع والعشرون

ومن حديث زيد بن أرقم الطويل، عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم:
"وأنا تاركٌ فيكم ثَقَلَين: أولهما: كتابُ الله، فيه الهُدَى والنور، فخذوا بكتابِ اللهِ واستمسكوا به".
فحثَّ على كتابِ اللهِ ورغَّبَ فيه، ثم قال: **"وأهلُ بيتي، أُذَكِّرُكم اللهَ في أهلِ بيتي، أُذَكِّرُكم اللهَ في أهلِ بيتي، أُذَكِّرُكم اللهَ في أهلِ بيتي".**

رواه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم (٢٤٠٨).

الحديث الخامس والعشرون

ومن حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم:
"ما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ مِن بيوتِ الله، يتلونَ كتابَ الله، ويتدارسونَهُ بينهم، إلّا نزلتْ عليهم السكينة، وغشيتُهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرَهم اللهُ فيمن عنده".

الحديث السادس والعشرون

عن عُبادةَ بنِ الصامت، يَبلُغُ به النبيَّ صلى الله عليه وسلم:
" لا صلاةَ لمَن لم يقرأْ بفاتحةِ الكتاب"

صحيح مسلم، كتاب الصلاة (٣٩٤).

الحديث السابع والعشرون

عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال:
"لا حسدَ إلّا على اثنتين: رجلٌ آتاهُ اللهُ هذا الكتاب، فقامَ به آناءَ الليلِ وآناءَ النهار، ورجلٌ آتاهُ اللهُ مالًا، فتصدَّقَ به آناءَ الليلِ وآناءَ النهار".

رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن (٥٠٢٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين (٨١٥). واللفظ له.

الحديث الثامن والعشرون

قال عمر: أمَا إنَّ نبيَّكم صلى الله عليه وسلم قد قال:
"**إنَّ اللهَ يرفعُ بهذا الكتابِ أقوامًا ويضعُ به آخرين**".

رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين (٨١٧).

الحديث التاسع والعشرون

عن عبد الله بن أبي أوفى قال:
دعا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم على الأحزابِ فقال:
"**اللهمَّ مُنزِلَ الكتاب، سريعَ الحساب، اهزِمِ الأحزاب، اللهمَّ اهزِمهم وزلزِلهم**".

رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير (١٧٤٢)، والبخاري، كتاب الجهاد والسير (٢٩٣٣).

والمقصودُ بالكتابِ هنا القرآن. قال ابنُ حجر رحمهُ الله:
"اللهمَّ مُنزِلَ الكتاب... إلخ" أشارَ بهذا الدعاءِ إلى وجوهِ النصرِ عليهم.
قال: فبالكتاب: إلى قولهِ تعالى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ} [سورة التوبة: ١٤]...[١٣].

الحديث الثلاثون

عن ابن عباس قال:
ضمَّني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقال:

(١٣) فتح الباري ٦/١٥٧.

"**اللهمَّ علِّمْهُ الكتابَ**".

صحيح البخاري، كتاب العلم (٧٥).

والمرادُ به القرآن، كما أفادهُ ابن حجر[١٤].

الحديث الحادي والثلاثون

عن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه:
أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يقرأُ في الظهرِ في الأُولَيَين بأمِّ الكتابِ وسورتَين، وفي الركعتينِ الأُخرَيَين بأمِّ الكتاب، ويُسمِعُنا الآية، ويطوِّلُ في الركعةِ الأولى ما لا يطوِّلُ في الركعةِ الثانية. وهكذا في العصر. وهكذا في الصبح.

صحيح البخاري، كتاب الأذان (٧٧٦).

وسمِّيتِ الفاتحةُ "أمَّ القرآن" لأنها أصلُ القرآن، وقيل: لأنها متقدِّمةٌ كأنها تؤمُّه[١٥].

الحديث الثاني والثلاثون

عن المنذر بن جرير، عن أبيه قال:
كنتُ جالسًا عند النبيِّ صلى الله عليه وسلم، فأتاهُ قومٌ مجتابي النِّمار. وساقوا الحديثَ بقصَّته، وفيه:
فصلَّى الظهر، ثم صعدَ منبرًا صغيرًا، فحمدَ اللهَ وأثنَى عليه، ثم قال:

---

(١٤) فتح الباري ٢٢٩/١.
(١٥) فتح الباري ٣٨١/٣.

"**أمّا بعد، فإنَّ اللهَ أنزلَ في كتابه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ}**". الآية [سورة النساء: ١٤].

صحيح مسلم، كتاب الزكاة (١٠١٧).

فجاءَهُ قومٌ مجتابي النِّمار: كلُّ شملةٍ مخطَّطةٍ مِن مآزرِ الأعرابِ فهي نَمِرة، وجمعها: نِمار، كأنها أُخِذَتْ مِن لونِ النَّمِر; لما فيها مِن السوادِ والبياض. وهي من الصفاتِ الغالبة. أرادَ أنه جاءَهُ قومٌ لابسي أُزُرٍ مخطَّطةٍ من صوف[١٦].

الحديث الثالث والثلاثون

عن عروة:
أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم خطبَ عائشةَ إلى أبي بكر، فقالَ له أبو بكر: إنما أنا أخوك.
فقال: "**أنتَ أخي في دينِ اللهِ وكتابه، وهي لي حلال**".

صحيح البخاري، كتاب النكاح (٥٠٨١).

الحديث الرابع والثلاثون

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:
"**إذا أتيتَ مَضجَعكَ فتوضَّأ وضوءَكَ للصلاة، ثم اضطجِعْ على شِقِّكَ الأيمن، وقل: اللهمَّ أسلمتُ نفسي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رهبةً ورغبةً إليك، لا ملجأَ ولا منجَى منكَ إلّا إليك، آمنتُ بكتابِكَ الذي أنزلت، وبنبيِّكَ الذي أرسلت. فإنْ مُتَّ مُتَّ على الفطرة. فاجعلهنَّ آخرَ ما تقول**".

(١٦) أفاده العلاّمة ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر ١١٧/٥.

فقلت: أستذكرُهنّ: وبرسولِك الذي أرسلت. قال: "**لا، وبنبيّكَ الذي أرسلت**".

صحيح البخاري، كتاب الدعوات (٦٣١١)، واللفظ له، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء (٢٧١٠).

والظاهرُ في المقصودِ بالكتابِ هنا القرآنُ الكريم، لكنْ قال الحافظُ ابنُ حجر: يحتملُ أنْ يريدَ به القرآن، ويحتملُ أنْ يريدَ اسمَ الجنس، فيشملُ كلَّ كتابٍ أُنزل[١٧]

(٦)

وأولُ معنًى للكتابِ هو جنسهُ الذي يُرادُ له، ويعني **الكتابَ العادي**، وبمعنى **المكتوب**، كما في الحديث التالي:

الحديث الخامس والثلاثون

عن أبي جُحيفة قال: قلت لعليّ: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلّا كتابَ الله، أو فهمٌ أُعطِيَهُ رجلٌ مسلم، أو ما في هذه الصحيفة.

قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟

قال: العَقْل، وفِكاكُ الأسير، ولا يُقتَلُ مسلمٌ بكافر.

رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم (١١١).

قال الحافظ ابن حجر:

كتاب: أي: مكتوبٌ أخذتموهُ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مما أُوحيَ إليه.

---

(١٧) فتح الباري ١٢/٣٩٢.

قال: وإنما سأله أبو جُحيفة عن ذلكَ لأن جماعةً من الشيعةِ كانوا يزعمون أن عندَ أهلِ البيتِ - لا سيَّما عليًّا - أشياءَ من الوحي خصَّهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم بها لم يطَّلعْ غيرهم عليها.

الصحيفة: أي الورقةُ المكتوبة.

العَقل: الدِّيَة[١٨].

قلت: وهو عند الترمذيّ أوضح، وهو عن إبراهيم التيمي، عن أبيه قال:

خطبَنا عليُّ بن أبي طالبٍ فقال: مَن زعمَ أن عندنا شيئًا نقرؤهُ إلا كتابَ اللهِ وهذه الصحيفة (قال: وصحيفةٌ معلَّقةٌ في قِرابِ سيفه) فقد كذب.

فيها أسنانُ الإبل، وأشياءُ من الجِراحات.

وفيه: قال النبيُّ صلى الله تعالى عليه وسلَّم: "**المدينةُ حرَمٌ ما بينَ عَيْرٍ إلى ثَور. فمَن أحدثَ فيها حدَثًا، أو آوَى مُحدِثًا، فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين، لا يقبَلُ اللهُ منه يومَ القيامةِ صَرْفًا ولا عَدْلاً. وذمَّةُ المسلمينَ واحدة، يسعَى بها أدناهم. ومَن ادَّعَى إلى غيرِ أبيه، أو انتمَى إلى غيرِ مَواليه، فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين، لا يَقبلُ اللهُ منه يومَ القيامةِ صَرْفًا ولا عَدْلاً**".

رواه الترمذي في سننه، كتاب الولاء والهبة (٢١٢٧) وقال: حديث حسن صحيح.

(٧)

ومن معاني الكتابِ التي أُطلقت عليه: **الدفتر، والأوراق، ويعني الصحيفة، بدون كتابةٍ فيها**. فالصحيفةُ تُطلَقُ على ما يُكتَبُ فيه مِن ورقٍ ونحوه، كما تُطلقُ على المكتوبِ فيها. والمعنى الدالُّ على هذا يأتي ضمنَ (الحديث التاسع والثلاثين)، وأدناهُ قولُ ابنِ حجرٍ في معنى الكتاب. حيث وردَ في الحديثِ لفظُ الكتابِ مرتين، بمعنيَين.

---

(١٨) فتح الباري ١/٢٧٦.

ولم أوردِ الحديثَ هنا تجنبًا للتكرار.

(٨)

وبمعنى **الصحيفةِ المكتوبِ فيها**. وهي هنا خاصَّةٌ بالآخرة، فهي **صحفُ الأعمال**، التي فيها سجلُّ أعمالِ الناس. مثاله:

الحديث السادس والثلاثون

عن صفوان بن مُحرز المازني قال:
بينما أنا أمشي مع ابنِ عمر رضي الله عنهما آخِذٌ بيده، إذْ عرَضَ رجلٌ فقال:
كيف سمعتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في النجوَى؟
فقال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:
"إنَّ اللهَ يُدني المؤمنَ، فيضعُ عليه كنَفَهُ ويَستره، فيقول: أتعرفُ ذنبَ كذا؟ أتعرفُ ذنبَ كذا؟ فيقول: نعم، أيْ ربّ. حتَّى إذا قرَّرَهُ بذنوبه، ورأى في نفسهِ أنه هلك، قال: سترتُها عليكَ في الدنيا، وأنا أغفرُها لكَ اليوم. فيُعطَى كتابَ حسناته. وأمّا الكافرُ والمنافقون، فيقولُ الأشهاد: {هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}" [سورة هود: ١٨].

رواه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم (٢٤٤١).

(٩)

ويأتي الكتابُ بمعنى **الرسالة، أو الخطاب، ويُقالُ له المكاتبة، بمعنى المراسلة**. كما في الحديثين التاليين:

الحديث السابع والثلاثون

عن عليٍّ رضيَ الله عنه قال:

بعثني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبيرَ والمقدادَ بنَ الأسود، وقال:

"**انطِلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخٍ، فإنَّ بها ظعينةً ومعها كتاب، فخذوهُ منها**".

فانطلَقنا تَعادَى بنا خيلُنا، حتى انتهَينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أَخرِجي الكتاب.

فقالت: ما معي مِن كتاب.

فقلنا: لتُخرِجِنَّ الكتابَ أو لنُلقينَّ الثياب.

فأخرَجتْهُ مِن عِقاصها.

فأتينا به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فإذا فيه: مِن حاطبِ بنِ أبي بَلتعةَ إلى أناسٍ من المشركين مِن أهلِ مكة، يُخبرهم ببعضِ أمرِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "**يا حاطب، ما هذا**"؟

قال: يا رسولَ الله، لا تعجلْ عليَّ، إني كنتُ امرءًا مُلْصَقًا في قريش، ولم أكنْ مِن أَنفُسِها، وكان مَن معكَ مِن المهاجرين لهم قراباتٌ بمكةَ يَحمون بها أهليهم وأموالَهم، فأحببتُ إذ فاتني ذلكَ من النسَب فيهم أنْ أتَّخذَ عندهم يدًا يَحمون بها قرابتي، وما فعلتُ كفرًا ولا ارتدادًا، ولا رضًا بالكفرِ بعدَ الإسلام.

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "**قد صدَقكم**".

فقال عمر: يا رسولَ الله، دَعني أضربْ عنقَ هذا المنافق.

قال: "**إنه قد شهدَ بدرًا، وما يُدريك، لعلَّ اللهَ أنْ يكونَ قد اطَّلعَ على أهلِ بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتُم فقد غفرتُ لكم**".

رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

قال الإمامُ النوويُّ رحمهُ الله: الظعينةُ هنا: الجارية، وأصلها الهودج، وسُمِّيت بها الجارية لأنها تكونُ فيه[19].

الحديث الثامن والثلاثون

عن أنس بن مالك قال: لمّا أرادَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم أنْ يكتبَ إلى الروم، قال: قالوا: إنهم لا يقرؤون كتابًا إلّا مختومًا.
قال: فاتَّخذَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خاتمًا مِن فضَّة، كأني أنظرُ إلى بياضهِ في يدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، نقشه: محمَّدٌ رسولُ الله.

صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير (٢٩٣٨)، صحيح مسلم، كتاب اللباس (٢٠٩٢).

قال ابن حجر في تعليقهِ على الحديث: يُعرَفُ مِن هذا فائدةُ إيرادهِ هذا الحديثَ في هذا الباب، لينبِّهَ على أنَّ شرطَ العملِ بالمكاتبة، أنْ يكونَ الكتابُ مختوماً، ليحصلَ الأمنُ مِن توهُّمِ تغييره، لكنْ قد يُستغنَى عن ختمهِ إذا كان الحاملُ عدلاً مؤتمناً[20].

(١٠)

ويأتي الكتابُ بمعنى **"المرسوم"** أو **"الوثيقة"**، كما يُفهَمُ من الحديثين التاليين:

الحديث التاسع والثلاثون

عن ابن عباس قال: لما اشتدَّ بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم وجعهُ قال:

(١٩) شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/٥٥.
(٢٠) فتح الباري ١/١٥٦.

"**ائتوني بكتابٍ أكتبْ لكم كتابًا لا تَضِلُّوا بعده**".

قال عمر: إنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم غلبَهُ الوجع، وعندنا كتابُ اللهِ حسبُنا.

فاختلفوا، وكثرَ اللغط.

قال: "**قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع**".

فخرجَ ابنُ عباس يقول: إن الرزيَّةَ كلَّ الرزيَّة، ما حالَ بين رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابه.

رواه البخاري في صحيحه، كتاب العلم (١١٤)، ومسلم (١٦٣٧).

"**بكتاب**": أي بأدواتِ الكتاب، ففيه مجازُ الحذف. وقد صرَّحَ بذلكَ في روايةٍ لمسلم، قال :"**ائتوني بالكتفِ والدُّواة**". والمرادُ بالكتف: عظمُ الكتف؛ لأنهم كانوا يكتبون فيها[٢١].

و "**كتابًا**": بمعنى الصحيفةِ المكتوبِ فيها، كما يأتي. كما تعني في مفهومنا "المرسومَ" أو "الوثيقة".

فوردَ لفظُ الكتابِ هنا مرتين، بمعنيَين.

وهذا يخصُّ أيضًا موضوع الرقم (٧) من هذا الكتاب.

قلت: والحديثُ التالي يوضِّحُ موضوعَ هذا الحديث:

الحديث الأربعون

عن عائشةَ قالت: قالَ لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في مرضه:

"**ادعِي لي أبا بكرٍ وأخاكِ حتى أكتبَ كتابًا، فإني أخافُ أنْ يتمنَّى متمنٍّ ويقولَ قائل: أنا أَولَى. ويأبَى اللهُ والمؤمنون إلّا أبا بكر**".

---

(٢١) فتح الباري ٢٨٢/١.

صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم (٢٣٨٧).

والحمدُ لله ربِّ العالمين

فهرس الموضوعات

المقدمة..٢
الكتاب بمعنى اللوح المحفوظ...٤
بمعنى الكتابِ السماويّ..٥
بمعنى التوراة والإنجيل...٦
بمعنى التوراة...١١
بمعنى القرآن..١٢
جنس الكتاب، وهو الكتاب العادي، ويعني المكتوب.......................٢٢
الدفتر، والأوراق، ويعني الصحيفة، بدون كتابةٍ فيها.....................٢٣
وبمعنى الصحيفةِ المكتوبِ فيها. وتعني هنا الصحف التي فيها سجلٌّ أعمال الناس..٢٤
بمعنى الرسالة، أو الخطاب، ويقال له المكاتبة، بمعنى المراسلة..................٢٤
بمعنى المرسوم، أو الوثيقة..٢٦